الرسول قدوة صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قدوتنا العظمى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله جلا وعلا قال لنا: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ".

ولقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القدوة في كل ميدان من الميادين، وقد جمع الله عز وجل فيه ما تفرق من الكمالات في البشر كلهم، فجعله الله سبحانه وتعالى أكمل الخلق، وكان عليه الصلاة والسلام أحسن الخلق خلقاً وخُلقاً، وأكملهم روحاً وعقلاً، وأسددهم مشورة ورأياً، وأخلصهم نية وقصداً، وكان عليه الصلاة والسلام قدوة في كل الميادين ؛ فهو النبي الكريم والأب الرحيم والزوج الصالح، والداعية الناجح، والسياسي البارع، والقائد المحنك، والخطيب المفوّه، والمعلم المثالي، والمربي الكامل، والصديق الرفيق، والأخ الشفيق .. كان عليه الصلاة والسلام حليماً مع تواضعه، مهيباً مع رحمته، وفياً في علاقته، عادلاً في محاكمته، محسناً في معاملته، جميلاً في خلقته، حاز كمال البشرية كله، وتربع على عرش العظمة في كل باب من الأبواب النفسية والعقلية والعملية، وكان - عليه الصلاة والسلام – شمس هداية أشعت على هذا الكون فأضأت جنباته، وكان نور رحمة ورعاية أشرقت به قلوب أهل الإيمان، وهديت به بصائر أهل الإسلام، وكان هو – ولا زال عليه الصلاة والسلام – قدوتنا الأولى والمثلى .. ولئن فات أجيال الإسلام المتعاقبة أن تتشرف بشرف صحبته ومرافقته عليه الصلاة والسلام، وشرف خدمته والعمل في دعوة الله عز وجل تحت إمرته ؛ فإن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واضحة جلية، لا يخفى منها شيء، فإنه عليه الصلاة والسلام – كما قال أهل السير والتواريخ – ولد في ضوء الشمس نحن نعرف النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أسرته وبيته، ونحن نعرف النبي عليه الصلاة والسلام في يقظته ومنامه، ونعرفه في شدته ولينه، وفي حلمه وغضبه، وفي سلمه وحربه، ونعرفه عليه الصلاة والسلام مع أزواجه وأبنائه، ونعرفه مع رفقائه وأصحابه، ونعرفه مع خصومه وأعدائه، نعرفه عليه الصلاة والسلام في كل أحواله تنطق بذلك سيرته العطرة التي سطرها أصحابه، ورواها الرواة، وأثبتها الكتاب والمؤلفون .

نعرف ذلك في شمائله العظيمة الجليلة وخصائصه النادرة العظيمة .. كل ذلك بين أيدينا لمن أراد أن يقتبس من أنوار هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما تزال القدوات كلها مقتبسة منه وعلى أثره وهديه عليه الصلاة والسلام.

ففي الاجتهاد في العبادة والخشية من الله تعالى: كان النبي – عليه الصلاة والسلام – يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فتقول له عائشه رضي الله عنها: لم تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً.

ونعلم قول عائشة رضي الله عنه في وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – في العشر

الأواخر إذا دخلت شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله.

وكان صلى الله عليه وسلم أعظم المؤمنين خشية، قال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)

وهو الذي كان يخرج في ظلمات الليل من المدينه يزور أهل البقيع يودعهم وداع المفارق، ويدعو لهم، وكان – صلى الله عليه وسلم – أرفع الناس قدراً في التعلق بالله، وترفعاً عن الدنيا، وقد قال لأبي ذر – رضي الله عنه – متمثلا فيما ينبغي أن يكون عليه ارتباط العبد بالله، والبعد عن التعلق بالدنيا: "والله ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهباً تمضي عليه ثلاثة أيام وعندي مئة دينار الا شيء أرصده لدين الا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا."

وكان راجح العقل حسن الأسلوب في الإقناع، فقد كان يستخدم أسلوب المقارنة الذي يبين الشيء ونقيضه، فتبدو حسنات المحسن وسيئات المسيء، وحينئذ يعرف الإنسان ما هو فيه من خطأ، وما يترتب عليه من آثار وخيمة، ويعرف ما فاته من خــيــر، وما فاته فيما يترتب عليه من آثار حسنة، فكان مما قاله النبي – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: "مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير". وقال – عليه الصلاة والسلام – في حديث أبي موسى المتفق عليه: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت."

كما كان يستعمل أسلوب التقرير في مناقشاته مع الآخرين، فقد استخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الأسلوب، فيما رواه الامام أحمد في قصة الشاب من الأنصار الذي جاء إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – يستئذنه في الزنا، وما أعظم هذا عندما تتصور أن هذا جاء إلى رسول الله يستئذنه في ارتكاب الفاحشه، فماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ما نهره ولا قال هذه شهوات آثمة ولا ولا، وإنما قال له بأسلوب هين لين: أترضاه لأمك ؟ قال: لا، قال: ولا الناس يرضونه لأمهاتهم، أترضاه لإبنتك ؟ أترضاه لأختك ؟ أترضاه لخالتك ؟ في كل ذلك يقول: لا، ثم ضرب النبي – عليه الصلاة والسلام – على صدره ودعا له أن يطهر الله قلبه، فشفاه الله من هذا ببركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان من حسن خلقه وأدبه يستخدم في كلامه التلميح دون التصريح، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ما بال أقوام يفعلون كذا "يكني ويُعَرِّض حتى لا يحدد الأشخاص.

وكان رفيقاً ودوداً، ففي حديث عائشة رضي الله عنها: "ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع منه الا شانه ". ونعلم قصة الأعرابي الذي بال في المسجد فأراد الصحابة أن ينهروه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزرموه"، أي لا تقطعوا على الأعرابي بولته، وهذا تعليم من النبي – عليه الصلاة والسلام – لضبط الصحابة، وكبح جماحهم، ولإعطائهم صفة الإتزان، ثم لما قضى الإعرابي قال للصحابه ولم يقل للاعرابي: اهريقوا على بول الأعرابي ذنوباً من الماء، هم الذين يغسلون بولته حتى يعلمهم كيف تكون التؤده وحسن التصرف، ثم قال له: إن هذه المساجد بيوت الله لا تصلح أو لا يصح فيها شيئاً من الأذى".

وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – مثالاً لهذا الأمر في رحابة صدره وسعة خلقه، فهذا أنس يخبرنا أنه خدم النبي - عليه الصلاة والسلام – عشر سنين، وطبيعة الخدمة والخادم

أن يُؤمر وان يُنهى وأن يُعاتب وأن يُلام وأن يُعاقب وأن يُزجر، قال: "فما قال لي قط أفٍ قط ــ طوال عشر سنين – وما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله هلاّ فعلته."

وفي الصحيح عن أنس: أن أعرابياً جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية فجذبه أي جذب الأعرابي النبي – عليه الصلاة والسلام - من برده حتى أثرت حاشية البرد في النبي عليه الصلاة والسلام وهو يقول له: مر لي بعطاء، يعني يريد أن يأخذ عطاء أو استجداء ويأتي بهذا الأسلوب فماذا فعل النبي - عليه الصلاة والسلام – ؟ تبسم في وجهه وأعطاه.

ونجد الشفقة في حديثه عليه الصلاة والسلام: "لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة." وفي حديث عائشة رضي الله عنها: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل يحب أن يعمل به خشية أن يفرض على الناس.

وفي حديث جابر قال: غزونا مع النبي – عليه الصلاة والسلام – غزاة قِبَل نجد، ثم جئنا إلى وادٍ كثير العضاة فنزلنا فيه أي من شدة التعب، وجعل الناس يستظلون بالشجر، واستظل رسول الله بشجرة فنمنا نومة فإذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعونا وعنده أعرابي، فقال – عليه الصلاة والسلام –: إن هذا الرجل اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده نصله، فقال من يمنعك مني، فقلت: الله ثلاثاً فسقط السيف من يده، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم شجاعاً جريئاً، ففي حديث أنس أن الناس فزعوا يوماً في المدينة على صوت صارخ في الليل، ماذا يصنع الناس في مثل هذا الموقف كل واحد يتلصص بالنظر فينظر هل تحرك غيره فاذا رأى أن هذا تحرك وهذا تحرك وهذا ينتظر هذا وهذا ينتظر هذا، فتجمعوا ليزيل بعضهم خوف بعض، أما أن يتقدم أحدهم فهذا غالباً ما يكون متصفاً به المقدام منهم، قال: "سمع الناس صوت صارخ قال: فخرجنا، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم راجع من قبل الصوت على فرس عريٍّ لأبي طلحة ــ أي من غير سرج – وهو يقول للناس: لن تراعوا، لن تراعوا."

ويوم حنين يوم هاج الناس وماجوا وارتد أولهم على آخرهم وانفرط العقد، كان النبي – عليه الصلاة والسلام – على بغلة ــ والبغلة لا تجري ولا تسرع وليس مناسبة للفرار – فثبت النبي – عليه الصلاة والسلام – وهو يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، ونادى العباس: هلموا هلموا فكان ثباته هو بؤرة التجمع.

وعلي رضي الله عنه يقول: "كنا إذا حمي الوطيس واحمرَّت الـــحُدق نتّقي برسول الله – صلى الله عليه وسلم"-، في المقدمة وليس في المؤخرة.

وكان النبي – عليه الصلاة والسلام – كريماً معطاءاً، ما سئل شيئاً الا أعطاه، فهذا صفوان بن أمية يقول: "ما كان أحدٌ أبغض اليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما زال يعطيني ويعطيني حتى ما أحد أحب لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم."

وقد ورد في الصحيح من حديث أنس أن النبي عليه الصلاة والسلام: "ما سئل شيئاً الا

أعطاه "، وجاء أعرابي فسئله فأعطاه النبي – عليه الصلاة والسلام – غنماً بين جبيلين، فذهب الأعرابي إلى قومه، فقال: يا قوم اسلموا فإن محمداً يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التؤدة والأناة والرفق، في حديث عائشة – رضي الله عنها - قال النبي عليه الصلاة والسلام: "لولا أن قومك حديثوا عهد ـــ قال عروة أي بكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باباً يدخل منه الناس وباباً يخرجون منه." ولما علم النبي – عليه الصلاة والسلام – بقصة معاذ أنه كان يصلي في المسجد النبوي مع النبي – عليه الصلاة والسلا – ثم يذهب بعد ذلك فيصلي بقومه في مسجدهم بضاحيتهم، فكان أحد الناس له حاجه فخرج من الصلاة من كثرة ما يطول بهم معاذ، فقام النبي عليه الصلاة والسلام وهو مغضَب فقال: "إن منكم منفّرين فإذا صلى أحدكم بالناس فليوجز فإذا صلى وحده فليطوِّل ". "وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الطفل فيوجز في صلاته، ولذلك كان النبي – عليه الصلاة والسلام – كما قال عبد الله ابن مسعود: "يتخولنا بالموعظه مخافة السآمة علينا".

حقاً لقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القدوة في كل ميدان من الميادين، وصدق الله تعالى حيث قال: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً".

انتهى،

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين